الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

عودة إلى الماضي

الحلقة الثانية والأربعون

مقدمة البرنامج..

مؤثرات...

عبد الله: سلام الله عليكم..

أصوات: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

عبد الله: هل يمكن أن أتحدث إلى الأستاذ سالم؟ لقد قيل لي أنه موجود في هذه القاعة.

سالم: أنا سالم أيها الأخ.

عبدالله: وأنا عبد الله الحضرمي، كنت واحداً ممن تابعوا محاوراتك مع بعض الأساتذة ولم أستطع أن أتعرّف إليكم لأنني كنت أسمع كلامكم ولا أرى أشخاصكم.. فقد وقفت طوال المحاورة خارج القاعة.

سالم: أهلاً وسهلاً بك.. فما رأيك في أن تتعرف إلى الأخوة الأساتذة كلهم.

عبد الله: هذا مصدر سرور لي عظيم.

سالم: تفضل معي إذن فهم مجتمعون في الغرفة المجاورة.. " فترة صمت " أيها السادة هذا أخ كريم يدعى عبد الله الحضرمي تابع المحاورات التي جرت بيننا وهو حريص على التعرّف إليكم واحداً واحداً.

ناصر: أهلاً وسهلاً.. فأنا ناصر.

عبد الرحمن: وأنا عبد الرحمن.

مساعد: أما أنا فمساعد.

عبد الله: يسرني أنني أجتمع إليكم وأسمع منكم: فقد أثرتم في رأسي تساؤلات كثيرة.. ولا أخفي عليكم أنّ بعض من كان حولي ممن كانوا يسمعون قد تأثر بما سمع وبرزت في رأسه تساؤلات. ولعلّه إن دعوتكم إلى اجتماع آخر أن يتنادى هؤلاء الأخوة مع كثيرين غيرهم للمشاركة في إحياء الاجتماع..

سالم: حسن.. ألا تجلس يا عبد الله؟

عبد الله: بكل سرور يا أستاذ سالم ..كما أتمنى عليكم أن تجيبوني عن سؤال يلح علي بالإجابة ويثير في نفسي شكوكاً ليت أني أتخلص منها.

ناصر: فما هو هذا السؤال يا عبد الله؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

عبد الله: الموضوع الذي أثير في المحاورة السابقة يمكن تلخيصه بالعبارة التالية: إنّ ما حققه عصر العلم شيء بالغ الأهمية خطير النتائج لكنه في الوقت نفسه قد عجز حتى اليوم عن توفير الطمأنينة والإحساس بالأمن والرضا عند إنسان هذا القرن.

عبد الرحمن: هذا صحيح يا عبد الله.

عبد الله: حسن جداً. ثم قلتم بأنّ المنهج الإسلامي هو الذي يقدم الحل المطلوب.. فهو من ناحية يساند التقدّم العلمي، ومن ناحية أخرى يحافظ على ظاهرة التوازن في النفس البشرية باعتبار أنه المنهج المتطابق مع الفطرة التي خلق الله الناس عليها..

مساعد: وهذا أيضاً صحيح.. فأين وجه الاعتراض عندك؟

عبد الله: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يستطع هذا المنهج العظيم أن يحقق الغرض المطلوب منه والذي جاء من أجله فلم يحل دون وقوع الكوارث والاضطرابات والثورات الداخلية والمذابح بين المسلمين ابتداء من مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

سالم: كنت يا عبد الله أتوقع منك هذا السؤال.. فليست هي المرة الأولى التي يحاول بها بعضهم معارضة رأينا في شمولية المنهج الإسلامي وفطرية بالشواهد التي أشرت إليها. لكنك وأنت توجّه هذا السؤال تنسى ظاهرة هامة هي أنّ المعركة التي كان يخوضها المسلمون لم تكن عند الحدود الخارجية لدولة الإسلام وحسب بل كانت داخل بناء هذه الدولة أيضاً.

ناصر: وقبل أن نتحدّث مطولاً عن أبعاد المعركة عند الحدود الخارجية وفي داخل بناء الدولة الإسلامية الواسعة الأرجاء يهمّنا أن نلفت نظرك يا عبد الله إلى حقيقة إنسانية هامة برزت في تاريخ الأمم والشعوب وخلاصتها أنّ التحوّل النفسي والخلقي عند الأمم لا يتم بين ليلة وضحاها بل يعاني صراعاً عنيفاً يتخذ أشكالاً مختلفة وفي أثناء هذا الصراع تبرز فضائل المنهج القويم بين المناهج المنحرفة.

عبد الله: هذا كلام يحتاج إلى توضيح..

عبد الرحمن: حسنٌ فاسمع إذاً.. ألا تعلم يا عبد الله أن سنّة الله قد قضت بإرسال عدد من الأنبياء قصّ علينا القرآن الكريم قصص بعضهم وأغفل قصص بعضهم الآخر فقال عز من قائل: " مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ "؟

عبد الله: بلى.. هذا صحيح.. لكن ما هو معناه؟

مساعد: معناه يا عبد الله أن تقويم المعوج في نفوس الشعوب لا يتم مرة واحدة ولا في عصر واحد.. إن الإنسان يجد نفسه أمام طريقين.. طريق خاطئة يوسوس الشيطان له ليقنعه بالمرور فيها.. وطريق صالحة يدفعه الإيمان إلى اجتيازها.. والتناقض بين الدفعين هذين قائم أبداً منذ أبينا آدم عليه السلام حتى اليوم.. وأهمية الدعوة الصالحة الى المنهج القويم ليست في أن تقنع كل الناس ولكن أهميتها في أنها تخرج أنبل ما عند الإنسان من الصفات وتمهد له طريق النجاح في الدنيا والآخرة في الوقت نفسه الذي يخوض فيه معركته ضد همسات الشياطين وضغوط الشهوات والانحرافات.

سالم: وهذا يعني أيضاً أنّ مجيء الدعوة الإسلامية لا يعني انقطاع الشرور وامتناع الناس عن الخلافات ولا توقّف الاضطرابات بل يعني أنّ هذه الدعوة الكريمة قد جاءت بالصيغة الكاملة التي تستوعب أطماح البشر كلهم على صورة تتفق مع فطرتهم حين تكون هذه الفطرة سليمة صحيحة..

ناصر: ومن هنا وجد المسلمون أنفسهم أمام عدوين: عدو من داخل أنفسهم طلب إليهم أن يجاهدوه ويطاردوه وقد تحدث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال وهو عائد من معركة بدر الكبرى: لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. ثم شرح ما يريده من الجهاد الأكبر فقال: إنه جهاد النفس.

عبد الرحمن: ويدخل في مفهوم هذه العداوة سوء الفهم عند بعض المسلمين وسلطان العصبيات عند بعضهم الآخر ونوازع عديدة نابعة من تقاليد وعادات بقيت مسيطرة عليهم من عصور الجاهلية فكانت من جراء ذلك حروب الردة.

عبد الله: لكأني أيها السادة أنظر إلى التاريخ وكأني لا أعرفه..

مساعد: وليس هذا وحسب.. إنّ أعداء هذا الدين لم يدعوا له فرصة للتنفس لقد اجتمعوا عليه من كلّ صوب وإذا بالعرب وقد قاوموا النوازع الداخلية وسيطروا على نزوات التقاليد القبلية الجاهلية القديمة يتوجّهون جميعاً وفي صف واحد لمجاهدة الجيوش المعادية التي وقفت عند الحدود الخارجية وهددت الجزيرة آنذاك بالاقتحام والتسلّل..

سالم: هكذا بدأت الطاقة الجديدة التي أحدثها الإيمان العظيم وحققتها أخلاق هذا المنهج الإسلامي المدهشة تفعل فعلها في ردّ القوى الخارجية.. وراح الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فإذا بعدد المسلمين يصبح أضعافاً مضاعفة خلال سنوات قليلة. لكن هل هذا يعني أنّ الذين دخلوا في دين الله قد تحرّروا كلهم من بقايا الثقافات القديمة والعقائد السابقة؟

عبد الله: طبعاً.. ليس من المعقول أن يخلص الناس بين ليلة وضحاها مما اعتادوه من الأفكار والعادات والتقاليد القديمة..

ناصر: وهنا بدأ سوء التفاهم ووجد المنهج الإسلامي نفسه في صميم معركة التصحيح والتنقية والتطهير وهي معركة أخطر كثيراً من معارك الجيوش التي خاضوها ضد عدو ظاهر.. لقد أصبحت المعركة داخل المجتمع الإسلامي معركة ضد بقايا أفكار خفية ومشاعر غير واعية واتجاهات تدفع إليها عصبيات عميقة الجذور..

عبد الله: هذا تشخيص معقول جداً لما كان يجري في بداية العهود الإسلامية..

عبد الرحمن: ومع ذلك فقد استطاع المنهج الإسلامي رغم الاضطرابات التي حدثت والتحوّلات التي نتجت عن تغيرات كبيرة في بنية المجتمعات الإسلامية ورغم الدماء التي سالت، لقد استطاع هذا المنهج العظيم أن يتغلّب بصورة عامة على سلطان الحضارات والأديان والثقافات القديمة نسبياً فاحتفظ بثمن غير قليل بقاعدتيه الأساسيتين: الدين بكلّ ما ينتج عنه من قدرة على تشكيل الإنسان وتغيير أخلاقه واللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه حين قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ..

مساعد: ألا يكفي فخراً لهذا المنهج الديني العظيم وامتيازاً له وفعالية لأوامره ونواهيه أنّ الكتاب الذي يستند إليه قد حفظ من التحريف وأنّ الثقافة التي نشأت عنه قد بقيت حيّة قائمة حتى اليوم رغم كلّ العواصف التي عصفت بها والحضارات الدخيلة التي حاولت أن تقتلعها من جذورها؟ ومتى كانت الدماء التي يسبّبها أكثر الأوقات خلافٌ في الرأي أو نزاع حول بعض المصالح هي التي تقرّر مصير حضارة من الحضارات؟ كلا يا عبد الله إنّ عظمة هذا المنهج الإسلامي أنه ما يزال حتى

اليوم مستعداً لمواجهة كل التحديات قادراً على الصمود.. واعياً بحدوده مدركاً لأغراضه متمسكاً بقواعده وعقيدته رغم كل أنواع الغزو العسكري والثقافي..

سالم: لقد كان جديراً بمن يتساءلون عن فعالية المنهج الإسلامي أن يفاخروا العالمين بعظمة هذا المنهج واستمراره قوة دافعة إلى الأمام متوافقة مع الفطرة الإنسانية.. وإذا كان هناك فساد فالفساد نابع من انحراف الفطرة عند الناس لا من خطأ في المنهج نفسه..

عبد الله: شكراً لكم على ما قدمتموه من الشروح.. ولا أخفي عليكم أنكم واجهتموني بما لم أكن أترقبه.. ورجائي أن تتاح لي مع آخرين فرصة لمتابعة محاوراتكم في مستقبل الأيام إن شاء الله..

موسيقى نهاية....